ديوان الخنساء

دراسة نحوية ودلالية

روقية محمود سيد علي

باحث ثنوي تعليم - كلية العلوم - جامعة أسوان

مقدمه:

الحمد لله الذي علم بالقلم، ومنَّ بعلمه علينا، فأهدى قرآنَه إلينا، فأرشدنا به سواء السبيل، ووضَّح لنا الطريق القويم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسَلين سيدنا محمد- ?- وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن اللغة العربية هي أسمى لغات الأرض قدرًا؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وأعظم الكتب منزلة عند الله وقد تكفل سبحانه بحفظها عندما تكفل بحفظ كتابه، إذ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

إن اتصال النحو بالنص الشعري مجال خصيب جدير بالبحث والدِّراسة المنهجية المتأنية، فهذا الاتصال يكشف عن كثير مما يزخر به النحو العربي من إمكانات تعبيرية، تتيح للشاعر التصرف في الأساليب، وتَمُدُّه بالتراكيب المختلفة والبدائل الأسلوبية المتنوعة التي يختار من بينها ما يتناسب مع غرضه، ويتَّسق مع غايته، فالنحو جزء أساسي من ذكاء الشَّاعر وفطنته وروعته، وليس جانبًا خارجيًا، ولا طلاء يطلى به المعنى، والنحو جزء أساسي مما نسميه نشاط الكلمات في الشِّعر، إن الشعراء يتخلَّون عن أنظمة نحوية كثيرة ممكنة، ويصعدون إلى نظام نحوي لا يُمكن الغضُّ منه، ما دمنا حريصين على أن نقرأ الشِّعر قراءة دقيقة (٢).

سبب اختياري لموضوع الدراسة:

أهمية الغرض الشعري الذي تناوله الديوان، فرثاء الخنساء لأخويها صخر ومعاوية قد فاق رثاء الجاهليين كثرة وصدقا وتنوعا في معانيه وإيقاعاته(٣)، ولم يكن رثاء الخنساء لأخويها مجرد ندب نبع من الموت المفاجئ، وإنما كان حزنًا صادقًا فرض تعبيرًا عميقًا ومعنى خالدًا متنوعًا، والرثاء في اللغة: مدح الميت، ورَثاه: بكاه، وعدَّد محاسنه، يقال: رثاه بقصيدة، ورثاه بكلمة(٤)، والرثاء من أشرف أشعار العرب؛ لأنه بمنأى عن النفاق والخداع والتملق، وغالبًا ما يصدر عن عاطفة وشعور صادقين، ولقد قيل لأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم؟، قال: لأننا نقولها وقلوبنا محترقة (٥).

ولعلَّ من الأسباب التي دفعتني إلى تناوُل شعر الخنساء خاصَّة: ما تتمتع به الشاعرة المخضرمة من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة في الشِّعر العربي، وأهتم النُّحاة بشعرها والاستشهاد به، فهي من شعراء عصر الاحتجاج، فقد استشهد إمامُ النحاة سيبويه بشعرها[٦]، والمبرد[٧]، وابن جني[٨]، وابن يعيش[٩] والقزويني[١٠] وغيرهم من علماء النحو والبلاغة.

أما كون هذه الدراسة نحوية ودلالية؛ فذلك لأن " الدرس اللغوي الحديث ينزع إلى عدم التفرقة بين الجانب النحوي والجانب الدلالي التركيبي؛ إذ أصبحت الدلالة جزءًا من النظرية النحوية "[١١]، والنحو في مفهومه العام هو: "مجموعة من القواعد المتنوعة المتعددة التي تحكم بنية نص ما، فإنه يسوغ لنا أن نطلق على هذه المجموعة كلها مصطلح النحو، والتفسير الدلالي لأي نص يقوم على معطيات مفرداته المؤلفة في نظام لغته، وهذا التأليف في الوقت نفسه يكوِّن سياقه اللغوي الخاص به، ويبينه بروابطه وعلاقاته، ويحدد أبعاده النصيَّة "[١٢].

المنهج المتبع في البحث:

لما كانت طبيعة الدراسة تفرض المنهج المناسب لها، فقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تقوم الدراسة على استخدام المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الوصفي هو:"الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، ويعبر عنها كيفيا وكميا"[١٣]؛ وسوف تكون الدراسة وصفية؛ لأنها سوف تعتمد على وصف الظواهر النحوية الموجودة في الديوان، حيث أقوم بحصر الأنماط أولا ثم أقوم بالتعليق عليها نحويا، وسوف تكون تحليلية؛ لأنها سوف تعنى باستخلاص الظواهر الدلالية المنبثقة من تلك الظواهر النحوية، وقد اعتمدت في دراستي على "ديوان الخنساء"، شرح ثعلب، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي، تحقيق: د/ أنور أبو سويلم، دار عمار، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

نبذة عن الخنساء:

نشأتها:

هي: "تماضر بنتُ عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يَقْظَة بن عُصَيَّة بن خُفَاف بن امرئ القيس ابن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن حَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر"(١٤).

إن الخنساء البدوية كانت تقطن مكانا له خصائص ومميزات، نضحت على أهله، وظهرت على سكانه، فقد اشتهر أهل نجد بالبلاغة، وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب، وإذا أحصينا شعراء الجاهلية الذين بلغنا خبرهم بالنظر إلى المواطن، وجدنا أكثر من خمسين شاعرًا من نجد فحسب (١٥).

والخنساء هي واحدة من أبرز شاعرات العرب منذ العصر الجاهلي وحتى الساعة، ولدت تماضر ولم يسجل يوم ميلادها أحد، فلم تكن هناك وثائق تسجل هذه الأحداث، ولم يكن هناك من يتنبأ لها بالذيوع والشهرة، فقد حاول الكثير من الباحثين المعاصرين تحديد يوم مولدها، فالمستشرق جبرييلي جعل تاريخ الولادة سنة ٥٧٥م، وتبعه من العرب لويس شيخو اليسوعي، والأستاذ إفرام البستاني، أما المستشرق غرنباوم يقرر أنها عاشت في النصف الأول من القرن السابع الميلادي، وأما بنت الشاطئ لم تتكلف البحث عن يوم مولدها (١٦).

زواجها:

خطبها دريد بن الصمة وذلك أنه رآها تهنأ إبلا لها فهويها، فذهب أبوها إليها ليأخذ رأيها، لكنها رفضت أن تتزوج سيد بني جشم، وأعلنت أنها لن ترضى بأحد غير بني العم من سليم(١٧)، وقد عرف فيها أهلها أنها راجحٌ عقلها، وذات فكر متزن، فأبوا إلا أن يكون زواجها بعد موافقتها، ولم يكن ذلك حقًا لكل ابنة، وإنما هو خصيصة تمنح لمثيلات الخنساء (١٨).

ومن الروايات التي تحدثت عن زواج الخنساء الكثير، وقد ذكر لنا أكثر من ثلاثة أزواج وهم الرواحي وعبد العزى ومرداسا، وقد اختلف الرواة في عدد وترتيب أزواجها أيهم الأول، قال ابن قتيبة في كتابه"الشعر والشعراء": خطب الخنساء رواحةُ بن عبد العزى السلمي، فولدت له عبد الله وهو أبو شجرة، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السلمي، فولدت له زيدًا ومعاوية وعمرًا(١٩)، كما ترجح بنت الشاطئ أن الرواحي السلمي عبد العزى بن عبد الله هو الزوج الأول للخنساء (٢٠).

شهرتها وإسلامها:

عاشت الخنساء أكثر عمرها في العهد الجاهلي، ووفدت على رسول الله – ? – مع قومها بني سليم فأسلمت، وكان النبي – ? – يستنشدها ويعجبه شعرها، وكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومئ بيده، وحظيت بشرف تقدير النبي – ? – لها حين جعلها أشعر الناس (٢١).

كان للخنساء أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ه، فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قُتِلوا جميعا فقالت: " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته" (٢٢)، وأبدت بنت الشاطئ رأيها في عدم وجود بيت شعر واحد نظمته الخنساء في رثاء أبنائها على الرغم من كثرة قصائدها في رثاء أخويها، في قولها: "موقف الخنساء من بنيها مصدره شذوذ في طبيعة تماضر، جعل عاطفة الأخوَّة فيها تطغى على عاطفة الأمومة التي هي جوهر الأنوثة، والعنصر الأصيل في مقومات الفطرة لحواء"(٢٣)، وإني أرجح هذا الرأي القائل بأن "موقف الخنساء في هذا ليس لشذوذ وانحراف في طبيعتها؛ بل لأنها فهمت الإسلام وكيفية الالتزام بقوانينه عندما آمنت به، فهو ينهي في مضمونه عن النواح ولطم الخدود وشق الجيوب على الأموات"(٢٤).

وفاتها:

ماتت الخنساء فاختلف الباحثون واتسع بينهم الاختلاف حتى بلغت مسافته ثلث قرن أو يزيد؛ فمن قائل كانت وفاتها ٦٤٦م وهو يوافق سنة ٢٦هـ إلى قائل في أول خلافة سيدنا عثمان بن عفان – ?– وحددها البعض بسنة ٢٤هـ ، وقد حددها الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بنحو سنة ٥٠ه، أما لويس شيخو فحدد سنة وفاتها عام٦٨٠هـ ، ولعل سر ذلك الخلاف خلو حياة الخنساء من مثيرات تغري المؤرخ أو الباحث بالتتبع والتقصي؛ لذا وقفوا بأبنائها عند استشهاد بنيها في القادسية، وإعطائها أرزاق أولادها الشهداء ما عاش عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهكذا نرى الخنساء امرأة ضاقت بالحياة وضاقت الحياة بها، وكأنها محكوم حُكِم عليه بسجن يقضيه على الرغم ممن يجاورونه، فماتت الخنساء التي طالما أبكت العيون في حياتها، فما دمعت لها عين ولا نطق برثائها لسان [٢٥].

ديوان الخنساء وشروحه:

إن نصيب الخنساء من اتهام شعرها- بخاصة – قليل لا يعدو الأبياتَ تنسب إليها خطأ، أو يُشك في أن تكون لراثية سواها، ذلك أن إدراكها الإسلام وهي ذائعة الشهرة، قد جعل شعرها يتردد على ألسنة الرواة إلى قريب عصر التدوين، وكان السُّلميون يعتزون بها ويباهون بالموروث من مجدها الأدبي، وقد أدرك ابن أختها "أشجع السلمي" القرن الثاني للهجرة فكان مرجعا للمحفوظ من شعرها، ولذلك جُمع في عصر مبكر، وشرحه عدد من مشهوري العلماء [٢٦].

الجملة الاسمية البسيطة في ديوان الخنساء

الجملة لغةً:

"الجُمْلة: واحدة الجمل، والجملة: جماعة الشيء، وأجمل الشيء جَمَعَهُ عن تَفْرِقَةٍ، وأجمل له الحساب كذلك، والجملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب، وغيره، ويقال: أجملت له الحساب والكلام."[٢٧]، و"يقال: أخذ الشيء جملة، وباعه جملة:

متجمِّعًا لا متفرقًا، والجملة عند البلاغيين والنحويين: كل كلام اشتمل على مسند ومسند إليه"[٢٨].

الجملة اصطلاحًا:

يرى قسم من النحاة أن الكلام والجملة هما مصطلحان لشيء واحد، فالكلام هو الجملة والجملة هي الكلام، وذلك ما ذكره ابن جني في كتابه الخصائص قال: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: (زيد أخوك، وقام محمد) "[٢٩]

والذي عليه جمهور النحاة أن الكلام والجملة مختلفان، فإن شرط الكلام الإفادة، ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة، وإنما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أم لم يفد فهي أعم من الكلام، إذ كل كلام مفيد وليس كل جملة مفيدة، كما جاء في مغني اللبيب: "الجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ" قام زيد "، والمبتدأ وخبره كـ "زيدٌ قائم" وما كان بمنزلة أحدهما، نحو: "ضُرِب اللصُّ " و "أقائم الزيدان" و "كان زيد قائما" و "ظننته قائما" ثم ذكر أنها أعم من الكلام، إذ شرطه الإفادة بخلافها؛ ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، وجملة الجواب، وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا فليس كلاما"[٣٠].

أهمية دراسة الجملة:

إن الوظيفة الأساسية للنحو تدور حول ما يتصل بالجملة ونظمها بدءا من تحديد مفهومها، وتحليل مقوماتها، وتوضيح خصائصها، والكشف عن أنماطها، وضبط صورها، وانتهاء بتقنين هذا كله في شكل قواعد تهدي إلى فهم وتفسير ما أثر منها في الوقت نفسه الذي تُلْزَمُ فيه؛ بغية اكتساب القدرة على التعبير الدقيق عند استخدامها[٣١].

الدلالة لغةً:

"دل فلان إذا هدى ...، ودلَّه على الشيء يدله دلا ودلالة، فانـدل: سـدده إليـه، والدليل: ما يستدل به"(٣٢).

الدلالة اصطلاحًا:

هناك تعريفات عديدة لهذا العلم، منها التعريف الذي قدمه دكتور أحمـد مختـار عمر في كتابه "علم الدلالة" حيث قال فيه هو: "العلم الذي يدرس المعنى"(٣٣).

وهناك من فرق بين المعنى والدلالة، وهو أن دلالة أي وحدة لسانية لها مدلولها، وأما معناها فهو القيمة المجردة التي يكتسبها المدلول المجرد في سياق واحد، ووضع واحد، ونص واحد، وموضوع واحد؛ لذا المعنى ساكن، ثابت، ويوجد فـي اللسـان، بينما الدلالة علمية، معرفية، متغيرة، وتوجد في الاستعمال، أي: الكلام(٣٤).

وإذا كان النحو يُعني بدراسة العلاقات التي تربط بـين الكلمـات فـي الجملـة الواحدة، وبيان وظائفها؛ إذ إنَّه وسيلة نحـو التفسـير النهـائي لتعقيـدات التركيـب اللغوي(٣٥)، فإنَّ الدلالة كذلك تؤدي دورًا كبيرًا في التفرقة بـين التركيـب، فـالنحو والدلالة إذًا لا يستغنى أحدهما عن الآخر في توضيح النص وتفسيره وإنارته (٣٦).

هناك علاقة وثيقة بين علم الدلالة وعلم النحو حيث إن كل ما سبق ذكره مفـردًا في علمي الصوت، والصرف يؤدي وظيفته مجموعًا في علم النحو(التركيب)؛ لـذلك فالدلالة هنا تصبح أوفر، وتبدو كثيفة لكثرة عناصرها الصوتية والصرفية، والدلالـة النحوية قسمان:(٣٧)

١- دلالة نحوية عامة:

هي الدلالات المستفادة من الجمل والأساليب بشكل عام، نحـــو: دلالـــة الجمـــل، وأساليب الخبر والإنشاء، والإثبات والنفي، والشرط...

٢- دلالة نحوية خاصة:

هي دلالات الأبواب النحوية (فاعل، ومفعول به، مبتدأ، خبر، مضاف،....)

الجملة الاسمية البسيطة في ديوان الخنساء

الجملة الاسمية هي: التي تتكون من المبتدأ والخبر، وقد "اصطلح النحويون منـــذ عصر مبكر على تحديد طرفي الجملة الاسمية المطلقة بالمبتدأ والخبر، فأطلقوا لفـــظ (المبتدأ) على (المسند إليه) فيها، وأطلقوا لفظ (الخبر) على (المسند)"[٣٨].

أنماط الجملة الاسمية البسيطة في ديوان الخنساء

نمط (١) مبتدأ معرفة + خبر نكرة.
نمط (٢) مبتدأ معرفة + خبر معرفة.
نمط (٣) مبتدأ معرفة + خبر جملة فعلية ماضية.
نمط (٤) مبتدأ معرفة + خبر جملة فعلية مضارعة مثبتة.
نمط (٥) مبتدأ معرفة + خبر شبه جملة.
نمط (٦) الابتداء بالنكرة.
نمط (٧) تقديم الخبر على المبتدأ.
نمط (٨) الفصل بين ركني الإسناد (المبتدأ والخبر).
نمط (٩) الحذف في ركني الإسناد (المبتدأ والخبر).

عرض نمط من الأنماط السابقة:

نمـــط١ : مبتدأ معرفة + خبر نكرة

الصورة الأولى: مبتدأ ضمير + خبر نكرة

م	البيت	رقمه	رقم الصفحة
١	فَهُنَّ قُبٌّ كَحَيَّاتِ الأَبَاءِ بِهِ يُجْذِيْنَ نَيًّا ولا يُجْذِيْنَ قِرْدَانَا يعود ضمير الغيبة (هُنَّ) على الخيل.	٢	٢٠٣

الصورة الثالثة: مبتدأ معرف بالإضافة + خبر نكرة

م	البيت	رقمه	رقم الصفحة
١	أَنَخْتَ إلى مَظْلُومَةٍ غَيْرِ مَسْكِنٍ جَوَانِبُهَا يَبْسٌ وأَفْنَانُها رَطْبُ [٣٩]	٦	١٧٣
٢	فَرَاحَتْ تُبَارِي أَعْوَجِيًّا مُصَدَّرًا طَوِيلَ عِـذَارِ الخَـدِّ جُؤْجُـؤُهُ رَحْبُ[٤٠]	٩	١٧٥
٣	مَاضِي الهَوَى مَرِسٌ حِيْنَ القَنَا خُلَسٌ[٤١] وبَيْتُـهُ مَـأْلَفٌ لِلْحَضْـرِ والبَادِي	٥	٤٢١
٤	نِطَاقُهُ أَبْيَضُ ذُو رَوْنَقٍ كالرَّجْعِ في المُدْجِنَةِ السَّارِيَهْ[٤٢]	١٢	٤٠٥

الملاحظات:

١- ورد المبتدأ معرفة والخبر نكرة – في الشواهد السابقة – ست مرات، وهذا النمط للجملة الاسمية يعتبره النحاة هو الأصل، فالمشهور عندهم أنـــه إذا اجتمـــع اســـمان أحدهما معرفة، والآخر نكرة، يُجعل الاسم النكرة خبرا، والمعرفة مبتدأ، فقد جاء فـــي شرح المفصل: "اعلم أن أصل المبتدأ أن يكون معرفـــة، وأصـــل الخبـــر أن يكـــون نكرة"[٤٣]، فـــ" الأصل تعريف المبتدأ؛ لأنه المسند إليه، فحقه أن يكون معلومًـــا؛ لأن الإسناد إلى المجهول لا يفيد، وتنكير الخبر؛ لأن نسبته من المبتدأ نســـبة الفعـــل مـــن

الفاعل، والفعل يلزمه التنكير، فرُجِح تنكير الخبر على تعريفه"[٤٤]، ويكون المبتدأ معرفة لأنه مُخْبَر عنه؛ والإخبار عما لا يُعرف لا فائدة منه[٤٥].

دلالة الجملة الاسمية والفعلية:

١- الثبوت:

ذكر بعض النحاة والبلاغيين أن الجملة الاسمية تدل على الثبوت، والجملة الفعلية تدل على الحدوث، يقول القزويني: "وفعليتها لإفادة التجدد، واسميتها لإفادة الثبوت، فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت"[٤٦].

٢- الدوام والاستمرار:

قد تجمع الجملة الاسمية بين دلالة الثبوت، ودلالة الدوام والاستمرار، يقول السيد أحمد الهاشمي: "وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل، وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن "[٤٧].

٣- التجدد:

إذا لاحظنا النماذج السابقة، وجدنا أن الخبر فيها فعلًا يفيد التجدد، وهذا ما ذكره أحمد الهاشمي بقوله: "أما إذا كان خبرها فعلًا فإنها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص، نحو: الوطن يسعد بأبنائه. "[٤٨].

التعريف والتنكير ظاهرة شائعة في لغات العالم ترتبط بالتقابل المركوز في أذهان أهل اللغة بين المعروف والمجهول أو المعين والشائع في جنسه[٤٩]، من ثم كان مفهوم التعريف والتنكير في اللغات واحدًا أو يكاد، لكن وسائل التعبير عنه تختلف من لغة إلى لغة، وقد ظهر في نحو اللغات ما يسمى "أدوات التعريف والتنكير" بما غلب

من استعمالها في هذا أو ذاك؛ على الرغم من أن الأداة ليست إلا واحدة من وسائل التعبير عن هذه الظاهرة، وقد تخلو بعض اللغات من أداة التعريف، كالتركية، أو من أداة التنكير، كاليونانية القديمة، أو منهما معًا، كاللاتينية والروسية(٥٠) .

عنى النحاة والبلاغيون بالجانب الوظيفي والدلالي للنكرات والمعارف، فذكروا النكرات وبينوا دلالاتها، كما ذكروا المعارف وبينوا أنواعها، وما يستخدم له كل نوع ودلالته، بيْد أنه من المؤكد أن الزاوية التي نظر من خلالها النحويون إلى المعرفة والنكرة غير تلك الزاوية التي نظر من خلالها البلاغيون "لقد تكلم علماء النحو عن المعرفة والنكرة، وذكروا أقسام المعارف، فتحدثوا عن: العلم، والضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرف بـ (أل) وغيرها، ولكن حديثهم بالطبع كان من الناحية الإعرابية المحضة، أما البيانيون وعلماء البلاغة فكان حديثهم من زاوية أخرى، وفي مجال آخر، حيث تحدثوا عن الأغراض التي يكون من أجلها التعريف سواء كان هذا التعريف بالضمير أو بغيره، كما تحدثوا عن الدواعي التي تقتضي التنكير، وهم إذ يذكرون بعض هذه الأغراض والدواعي فإنما يفتحون الباب؛ لتغوص على الكلام البليغ، فتلتقط منه دررًا، وتدرك بعض الدواعي والأغراض التي لم يذكروها لك، لتستخرجها بحسِّك وتستنتجها بذهنك"(٥١).

النكرة لغةً:

"النكرة ضد المعرفة، وقد نَكِرْتُ الرجل بالكَسِر نُكرًا ونكورًا وأنكرتُهُ واستنكرتُهُ ...، وقد نكَّره فتنكَّر، أي: غيَّره، فتغيَّر إلى مجهول"(٥٢)، و "النكرة: إنكار الشيء، وهو نقيض المعرفة، والنكرة خلاف المعرفة"(٥٣)

النكرة اصطلاحًا:

"هي اللفظ الموضوع على معنى، ذلك المعنى لا يمنع من حيث يُتصوَّر أن يوجد منه أكثر من شخص واحد، وقيل: النكرة: ما عُلِّق في أول أحواله على الشِّياع في مدلوله، وقيل: هو الاسم الصالح لكلِّ واحد من جنسه على طريق البدل"(٥٤).

والنكرة عامة لها دلالة العموم والشيوع، إلا أن بعض النكرات أكثر عمومًا؛ لأنها أكثر شيوعًا، يقول ابن جني: "واعلم أن بعض النكرات أعم وأشيع من بعض، فأعم الأسماء وأبهمها: شيء، وهو يقع على الموجود والمعدوم جميعًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾(٥٥) فسماها: شيئًا وإن كانت معدومة؛ فـ(موجود) إذن أخص من شيء؛ لأنك تقول: كل موجود شيء، وليس كل شيء موجودًا، ومحدث أَخصُّ من موجود؛ لأنك تقول: كل محدثٍ موجود، وليس كل موجودٍ محدثًا، وجسم أَخصُّ من محدث؛ لأنك تقول: كل جسم محدث، وليس كل محدثٍ جسمًا، فعلى هذا مراتب النكرة في إيغالها في الإبهام ومقاربتها الاختصاص"(٥٦).

دلالة النكرة:

١ــ التعظيم:

ذكر الخطيب القزويني أن من دلالات ذكر النكرة "التعظيم" وعرفه بقوله: "ارتفاع شأنه"(٥٧).

٢- الإفراد:

وقد يكون التنكير للإفراد، وهذا ما ذهب إليه القزويني في إحدى دلالات النكرة للمسند إليه وغير المسند إليه، يقول في الإيضاح: "وأما تنكيره فللإفراد، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾(٥٨)، أي: فردٌ من أشخاص الرجال ...، ومن تنكير غير المسند إليه للإفراد قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾(٥٩)" (٦٠)، وإن كان الدكتور عبد المتعال الصعيدي يرى أن هذه الدلالة لا تعد دلالة بلاغية؛ لأنها معنى أصلي للنكرة، يقول الدكتور عبد المتعال الصعيدى: "ولا يخفى أن هذا معنى أصلى للنكرة لا يصح ذكره هنا، وإنما يعد من البلاغة، إذا دلَّ بمعونة المقام على نوعية غريبة، أو نحو ذلك. "(٦١) وهذه الدلالة

أيضًا ذهب إليها الزركشي وسماها "إرادة الوحدة" مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾[٦٢]. [٦٣]

المعرفة لغةً:

"العرفان: العلم ... وعرَّفه الأمر: أعلمه إياه ... والتعريف: الإعلام، والتعريف أيضًا: إنشاد الضالة، وعرَّف ضالته: نشدها. "[٦٤]، "عرَّف الشيء: عِرْفانًا وعِرِفَّانًا، ومعرفة: أدركه بحاسة من حواسه، فهو عارف وعريف، وهو وهي عَرُوف"[٦٥].

أما تعريف المبتدأ لتكون الفائدة أتم؛ لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد، كانت الفائدة في الإعلام به أقوى، ومتى كان أقرب، كانت أضعف، وبعده بحسب تخصيص المسند إليه، والمسند كلما ازداد تخصيصا، ازداد الحكم بعدا، وكلما ازداد عموما، ازداد الحكم قربا[٦٦].

أنواع المعارف:

اختلف النحاة في ترتيب المعارف في غير اسم الله تعالى، أما لفظ الجلالة والضمير العائد عليه فهما أعرف المعارف بالإجماع [٦٧]؛ لأنه ممتنع الإلباس، ولا يحتمل إلا المولى عزَّ وجلَّ، ثم يأتي بعد ذلك ضمير المتكلم الذي جعله ابن مالك أعرف المعارف، وعلل ذلك بأنه يدل على المراد بنفسه وبمشاهدة مدلوله، ثم ضمير المخاطب؛ لأنه يدل على المراد بنفسه، وبمواجهة مدلوله، ثم العلم؛ لأنه يدل على المراد حاضرا وغائبا على سبيل الاختصاص، ثم ضمير الغائب السالم عن إبهام، نحو: زيد رأيته، ثم المشار به، والمنادى كلاهما في مرتبة واحدة؛ لأن كلا منهما تعريفه بالقصد، ثم الموصول، ثم ذو أل، وقيل ذو أل قبل الموصول، وقيل في مرتبة واحدة [٦٨].

أعمدة بيانية تبين نسب تواجد الجملة الاسمية البسيطة في ديوان الخنساء

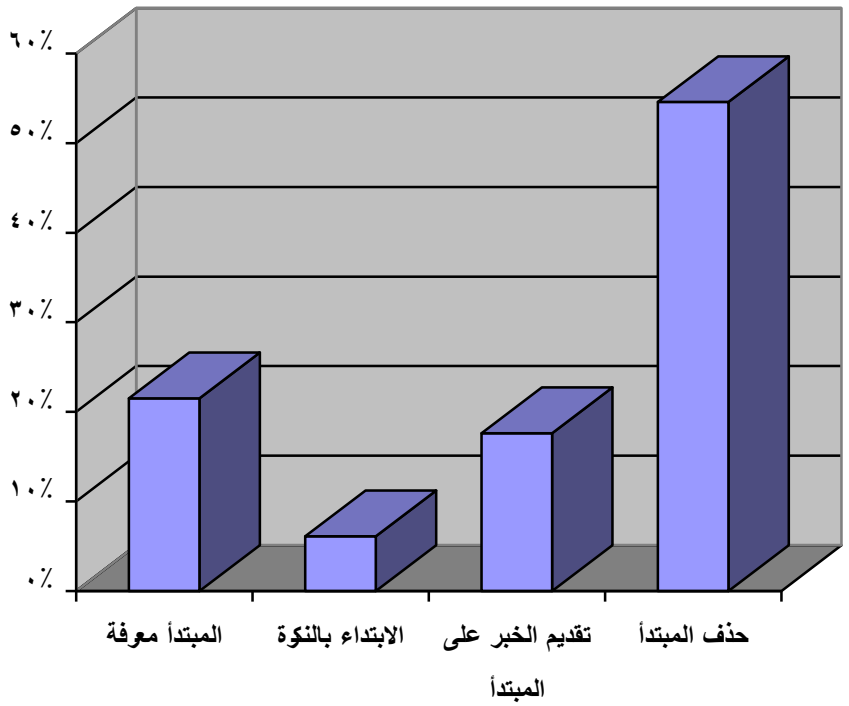

نسب الجملة الاسمية البسيطة في ديوان الخنساء:

وردت الجملة الاسمية البسيطة في ديوان الخنساء ١٣٠ مرة .

ورد المبتدأ معرفة ٢٨ مرة، أي بنسبة: ٢١،٥% .

ورد الابتداء بالنكرة ٨ مرات، أي بنسبة: ٦،١% .

ورد تقديم الخبر على المبتدأ ٢٣ مرة، أي بنسبة: ١٧،٦% .

ورد حذف المبتدأ ٧١ مرة، أي بنسبة: ٥٤،٦%

المصادر و المراجع

(١) سورة الحجر، آية ٩ .

(٢) انظر: النحو والشعر: قراءة في دلائل الإعجاز، د/ مصطفى ناصف، ص٣٦، مجلَّة فصول، عدد٣، أبريل، ١٩٨١م .

(3) انظر: الشعر الجاهلي السياق والملامح: د/ صلاح رزق، ص١٧٥، (٢٠٠٥م)، دار غريب للطباعة والنشر.

(4) انظر: لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، مادة (رَثى)، ١٥٨٢/٣، دار المعارف، [د- ت] .

([5]) انظر: البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، ٣٧١/١-٣٧٢، ط (١٩٦٨م)، دار صعب، بيروت.

([6]) الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٣٣٧/١، ط٣ (١٤٠٨ه-١٩٨٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

([7]) المقتضب: المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ٢٣٠/٣، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مطابع الأهرام التجارية.

([8]) الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ١٧٢/٣، ط٤ (١٩٩٩م)، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب.

([9]) شرح المفصل: ابن يعيش، ١١٥/١، [د- ت]، إدارة الطابعة المنيربة.

([10]) الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع: القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ص ١٥٤، ط (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(١١) انظر: النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: د/ محمد حماسة عبد اللطيف، ص٤٥، ط (٢٠٠٠م)، دار الشروق، وعلم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر، ص١٣، ط٢ (١٩٨٨م)، عالم الكتب، القاهرة.

(١٢) النحو والدلالة مرجع سابق، ص٤٥، وعلم الدلالة مرجع سابق، ص١٠ .

(١٣) تبسيط كتابة البحث العلمي من البكالوريوس ثم الماجستير حتى الدكتوراه: د/ أمين الساعاتي، ص١٢، ١٩٩٨م .

(14) الأغاني: الأصفهاني، ٧٢/١٥، ط٢، [د- ت]، دار الفكر، بيروت – لبنان.

(١٥) انظر: ديوان الخنساء: اعتني به وشرحه حمدو طماس، ص٨، ط٢(١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

(١٦) المصدر السابق، ص٥ .

(17) انظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ١/ ٣٣١-٣٣٢، [د- ت]، دار الحديث، القاهرة.

وكتاب الأغاني: الأصفهاني،، ٧٢/١٥، ط٢، [د- ت]، دار الفكر، بيروت – لبنان ، ونوابغ الفكر العربي الخنساء: عائشة عبد الرحمن، ص٣٢-٣٣، [د- ت]، دار المعارف.

(١٨) انظر: ديوان الخنساء: شرحه حمدو طماس، ص٦ .

(19) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، ١/ ٣٣١-٣٣٢ .

(٢٠) انظر: نوابغ الفكر العربي: د/ عائشة بنت الشاطئ، ص٣٥ .

(21) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ٦١٤/٧، ط (١٤١٢ه)، دار الجبل، بيروت- لبنان، وخزانة الأدب: البغدادي، ٤٣٤/١ .

(٢٢) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (١٤٠٠ه-١٩٨٠م)، ص٤٢٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان.

(23) نوابغ الفكر العربي: د/ عائشة بنت الشاطئ ، ص٥٢ .

(24) الصورة الفنية في شعر الخنساء: سليم بن ساعد السُّلمي، رسالة ماجستير، ص٦-٧ ، (٢٠٠٩م)، غير منشورة، جامعة مؤتة.

(٢٥) ديوان الخنساء: شرحه حمدو طماس، ص١٢ .

(٢٦) نوابغ الفكر العربي: د/ عائشة بنت الشاطئ، ص٨٣ .

(٢٧) لسان العرب: ابن منظور، مادة "جمل"، ٢/ ٦٨٥-٦٨٦ .

(28) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مادة [جمل]، ص ١٣٦، ط٤ (١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م)، مكتبة الشروق الدولية.

(٢٩) الخصائص: ابن جني، ١٨/١ .

(٣٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، ٥/٧-٨ ، [د- ت]، مطابع دار السياسة.

(31) مقومات الجملة العربية: د/ علي أبو المكارم، ص١٨، ط (٢٠٠٦م)، دار غريب، القاهرة.

(32) لسان العرب: ابن منظور، مادة (دلل)، ٢/ ١٤١٣- ١٤١٤ .

(33) علم الدلالة: أحمد مختار، ص١١ .

(٣٤) انظر: الألسنية (محاضرات في علم الدلالة): نسيم عون، ص ٩٦، ١٢٠، [د- ت] .

(35) التعريف بعلم اللغة: ديفيد كريستال، ترجمة: حلمي خليل، ص١١٠، ط (١٩٩٨م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(36) علم اللغة بين القديم والحديث: د/ عاطف مدكور، ص١٧٦، ط٢(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

(37) انظر: محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات: خليفة بوجادي، ص٩١: ٩٧، ط (٢٠٠٩م)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.

(٣٨) الجملة الاسمية: د/ على أبو المكارم، ص٢٢، ٢٠٠٧م ، مؤسسة المختار، القاهرة.

(39) ديوان الخنساء: شرحه ثعلب، ص١٧٤، مظلومة: الشجرة التي يستظل بها وليست موضع نزول، ولسان العرب: ابن منظور، مادة (فنن)، ٥/٣٤٧٦، الفَنن: الغصن المستقيم طولًا وعرضًا والجمع (أفنان).

(40) المصدر السابق، ص١٧٦-١٧٧، أَعْوَجِيَّ: فرسٌ سابق رُكِبَ صغيرًا فأعوجت قوائمه، والأعْوَجية منسوبة إليه، وهو فَحْلٌ كان لكِنْدَة. والمُصَدَّر: الفرس الذي يسبق الخيل بصدره. جُؤْجُؤْهُ رَحْبُ: واسع أعلى الصدر.

(41) المصدر السابق، ص٤٢١، مَاضي الهَوَى: صُلب العزيمة، قوي الإرادة، مَرِسٌ: الممارس للأمور المجرب لها. القَنَا خُلُسٌ: أي يطعن قومه طعنة سريعة.

(42) المصدر السابق، ص٤٠٥، الرَّجْعِ: الغدير. المُدْجِنَةِ: السحابة الممطرة. السَّارِيَهْ: التي أمطرت ليلًا.

(43) شرح المفصل: ابن يعيش، ١/ ٨٥ .

(٤٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ٣٢٥/١، ط (١٩٩٨م- ١٤١٨ه)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

([45]) أسرار العربية: ابن الأنباري، دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، ص٥٦، ط (١٤١٨ه-١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

([46]) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، ص٨٦ .

([47]) جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي، ص٦٧ .

([48]) المرجع السابق، ص٦٧ .

(49) Kramsky, J ,The Article and the Concept of Definiteness in Language(The Hague ;Mouton [1972]) P.19,52,199

(50) Ibid , P.9, 55, 96,110 .

(٥١) البلاغة فنونها وأفنانها: د/ فضل حسن عباس، ص٢٩٦ .

(٥٢) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل الجوهري، راجعه: محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، مادة (نكر) ، ص١١٦٧-١١٦٨ ، (١٤٣٠ه-٢٠٠٩م)، دار الحديث، القاهرة.

(٥٣) لسان العرب: ابن منظور، مادة (نكر)، ٤٥٣٩/٦ .

(٥٤) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د/حسن هنداوي، ١٠٢/٢، ط (١٤١٩ه-١٩٩٨م)، دار القلم، دمشق.

([55]) سورة الحج، آية ١ .

([56]) اللمع في العربية: ابن جني، تحقيق: فائز فارس، ط (١٩٧٢م)، ص ٩٨-٩٩، دار الكتب الثقافية، الكويت.

([57]) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، ص٥٠ .

([58]) سورة القصص، آية ٢٠ .

(٥٩) سورة الزمر، آية ٢٩ .

([60]) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، ص٤٩ .

([61]) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: د/عبد المتعال الصعيدي، ١٠١/١-١٠٢ ، [د- ت]، مكتبة الآداب.

([62]) سورة القصص، آية ٢٠ .

(٦٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ٩١/٤ .

(٦٤) لسان العرب: ابن منظور، مادة [عرف]، ٢٨٩٦/٤-٢٨٩٧ .

(٦٥) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مادة [عرف]، ص٥٩٥ .

(٦٦) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، ص٤١ .

(٦٧) انظر: همع الهوامع: السيوطي، ١/ ١٨٨، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ابن الأنباري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ٧٠٧/٢: ٧٠٩ ، المسألة ١٠١، [د- ت]، دار الفكر، بيروت – لبنان، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٨٧/٥ .

(68) انظر: همع الهوامع مصدر سابق، ١/ ١٨٧- ١٨٨، وشرح ابن عقيل، ٨٨/١ .